جماليات السرد في القصة القصيرة جدا الجزائرية " الرجل الذي لا يعشقه البحر" لزين الدين بومرزوق

the aesthetics of the narrative in the Algerian very short story "a man not loved by the sea" by Zinedine boumerzouk

زيتوني فائزة، أستاذ محاضر "أ"

مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب، جامعة قاصدي مرباح ورقلة

faiza.zitouni@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/05/20	تاريخ القبول: 2022/05/23	تاريخ النشر: 2022/06/01

Abstract:

The very short story is not just a narrative written in a few pages, but rather it is a mode of expression of modern literature that has certain formal characteristics and features that are designed to explore the mundane realities of life. The density of the plot of the short story allow the short story writer to capture the moment without the details that might overburden the narrative which could weaken the aesthetic effect of the text. The Algerian short story did not receive enough attention, spread, and media and critical circulation. We try here to review the exceptional experience of the Algerian short story writer Zinedine Boumerzouk by providing a critical reading of his collection of short story "Sea, Pardon me" and we will focus on one of its most brilliant texts, the short story "A Man not Loved by the Sea".

Keywords: *Zinedine Boumerzouk, the very short story , the paradox , narration , Sea.*

ملخص البحث

القصة القصيرة جدا ليست مجرّد سرد يقع في صفحات قلائل بل هي لون من ألوان الأدب الحديث، له خصائص ومميزات شكلية معينة تهتمّ خاصة باستكشاف الحقائق من الأمور الصغيرة العادية المألوفة، ولا شك أن التركيز والتكثيف في بنائها يمكنان من القبض على

اللحظة مباشرة ولا يسمحان بتسرب الجزئيات والتفاصيل، التي من شأنها أن تثقل النسيج القصصي ليبدو حشواً مترهلاً يضعف الأثر الجمالي للنص. لم تنل القصة الجزائرية القصيرة الحيز الكافي من الاهتمام والانتشار والتداول الإعلامي والنقدي، وهنا محاولة للتعرف على التجربة المميزة للقاص الجزائري بومرزوق زين الدين، لنقدم قراءة نقدية في مجموعته القصصية "معذرة يا بحر" وسنركز على واحدة من أبرع نصوصها وهي قصة " رجل لا يعشقه البحر".

الكلمات المفتاحية: زين الدين بومرزوق؛ القصّة القصيرة جدّا؛ المفارقة؛ السرد؛ البحر.

مقدمة

تظل الأجناس الأدبية في حراك دائم، لا يعرف الثبات والاستقرار على قوالب جامدة مخصوصة عبر الزمن وإذا كان التاريخ الأدبي يُثبت أنّ سيادة الشعر ظلّت قرونا طويلة تُهيمن على المنجز الأدبي والفكري العربي فإنّ مكانته قد انزاحت في العصر الحديث لصالح نوع آخر هو السرد إثر هزات عنيفة عرفها المجتمع العربي ومدخولات حضارية وفلسفية جديدة ومخاضات مؤلمة تكبّدها رحم الذات العربية بشّرت بروح التغيير في موازين القوى وأدّت إلى احتكار أنواع إبداعية أخرى للساحة الأدبية على حساب النوع الشعري المهيمن سابقا وقد قاد هذا التحوّل والانحراف بالمبدع العربي المعاصر إلى ضرورة اتّخاذ " وسائل بنائية جديدة تستعير أساليبها من الفنون الأخرى كالمسرح والرواية والقصة القصيرة والسينما، هدفها الإفادة من منجزات هذه الفنون، وأساليبها، وتقنياتها، ودورها البنائي والتشكيلي..."

[1] وبخاصة فن القصة القصيرة جدّا، التي لا تزال لغاية يومنا هذا تثبت وجوده وتذود عن كيانها محددة طرائق كتابتها وخصائص لغتها وتقنيات تدوينها وتداولها وآليات قراءتها ومقاربتها، ولأن القصة القصيرة جدا من الأجناس الأدبية الجديدة الطارئة على حقول الابداع الأدبي فقد حملت هواجس وصرحت اشكالات عدة منها:

ما ماهيتها؟ وأين نصنفها؟

هل أثبتت وجودها في ساحة الابداع الأدبي العربي والجزائري على وجه التحديد؟

هل الاقبال عليها لا يزال محتشما؟

كيف نقرؤها ونتذوّق محتواها المختزل؟

إن الفرضية التي ينطلق منها هذا المقال أن القصة القصيرة جدا على قدر دقتها واختزالها في كلمات قلائل وانضغاط نصّها السردي إلا أنّها صعبة وتحمل مجازفة قد ترمي بالكثير من كتابها في دائرة الفشل والخسران، والصعوبة ذاتها يتقاسمها قارئ تلك القصة أيضاً. وقد لامسنا تلك الصعوبة في استقراء هذا النص القصصي الجزائري، وتدور هذه المقاربة تارة في كنف المنهج السيميائي حين تتعقّب ظلال العنوان وإيحاءاته الرمزية، وتارة أخرى تلامس الأسلوبية في تتبعها لظاهرة المفارقة في النص وبيان انعكاسها وجمالياتها.

ا. تعريف القصة القصيرة جدا:

أثبتت القصّة القصيرة جدا كينونتها المستقلّة واستمرار وجودها وجدارتها في حمل لواء التجارب السردية المعاصرة والاقبال عليها في تزايد مستمر، مما نشّط عملية الابداع فيها فكثرت الاصدارات حولها، وهي تؤكد جدوى المقولة المأثورة: خير الكلام ما قلّ ودلّ. ورغم أن الكثير ينخدع بحجمها المقتضب إلا أنهم يصطدمون بكثافة محتواها الرمزي وغزارة مدلولاتها الباطنية.

ولمادة (قصص) في لسان العرب المحيط، معاني تتعلق بـ : تتبع أثر الشيء، شيئا بعد شيء. وإيراد الخبر ونقله للغير، وتعني أيضا : الجملة من الكلام.[2]

إنّها فن "حديث العهد لم تعرفه الآداب الغربية إلا منذ حوالي قرن فقط...وهي ليست مجرّد قصّة تقع في صفحات قلائل بل هي لون من ألوان الأدب الحديث...له خصائص ومميزات شكلية معينة"[3]، إنها وسيلة طبيعية للتعبير عن الواقعية الجديدة التي لا تهتمّ بشيء أكثر من اهتمامها باستكشاف الحقائق من الأمور الصغيرة العادية المألوفة" .[4]

وهي: "أحدوثة شائقة، مروية، أو مكتوبة، يقصد بها الإقناع أو الإفادة. وبهذا المفهوم الدلالي فإن القصة تروي حدثا بلغة أدبية راقية عن طريق الرواية أو الكتابة. ويقصد بها الإفادة، أو خلق متعة ما في نفس القارئ عن طريق أسلوبها وتضافر أحداثها، وأجوائها التخييلية والواقعية"[5].

ويعرفها أحمد المديني بقوله: "إن القصة القصيرة تتناول قطعا عرضيا من الحياة تحاول إضاءة جوانبه، أو تعالج لحظة وموقفا تستشف أغوارهما، تاركة أثرا واحدا وانطباعا محددا في نفس القارئ. وهذا بنوع من التركيز والاقتصاد في التعبير وغيرها من الوسائل الفنية التي تعتمدها القصة القصيرة في بنائها العام، والتي تعد فيها الوحدة الفنية شرطا لا محيد عنه. كما أن الأقصوصة تبلغ درجة من القدرة على الإيحاء والتغلغل في وجدان القارئ كلما حومت بالقرب من الرؤية الشعرية".[6]

وقد لاحظ أنّ إدجار ألان بو ربط تعريفه للقصة القصيرة بوحدة الانطباع، كونها تقرأ في جلسة واحدة. ورأى سومرست موم أنها قطعة من الخيال"[7].

القصة القصيرة إذن هي قطعة من الخيال، نصٌّ إبداعي سردي ممتع، يكون فيه القاص صانعاً حاذقاً يتقن صنعته جيدا، لأنّه في مواجهة مباشرة مع الآخرين.

ولا شك أن التركيز والتكثيف في بنائها يمكنان من القبض على اللحظة مباشرة ولا يسمحان بتسرب الجزئيات والتفاصيل، التي من شأنها أن تثقل النسيج القصصي ليبدو حشواً مترهلاً يضعف الأثر الجمالي للنص.

إنها تحيل على زاوية نظرية مختصرة مركزة وذكية تكتفي بالتلميح أكثر من التصريح تتجنب الملل لتتماشى مع متطلبات العصر.

أما عناصرها الأساسية أو أركانها كما يقول الدكتور أحمد جاسم الحسين فهي أربعة أركان رئيسة: القصصيّة، الجرأة، وحدة التفكير والموضوع، التّكثيف[8]. ومنهم من يضيف ركن المفارقة كسمة بارزة وقارة في القصة القصيرة جدا، فهي جنس أدبي قوامه الاضمار والحذف، من أجل اتاحة الفرصة للقارئ للتأويل وتقديم مقاربات متنوعة للنص.

ولقد جاءت القصة القصيرة جداً - كمنجز أدبي- استجابة لروح العصر والذوق العام الذي أصبح لا يستسيغ إلا الإنتاج الموجز والأعمال الكثيفة والمقتضبة التي لا محلّ للحشو فيها والترهل كيف لا ونحن في عصر السرعة في كل المجالات عصر التغيرات المتلاحقة والفضاءات المفتوحة على كل الألوان والأطياف والأصناف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية والأدبية والتقنية، والنشر الافتراضي الثورة الرقمية والإعلام العنكبوتي والاتصال المتعدد الوسائط، إنّه عصر نريد أن نأخذ فيه كل شيء في أقل وقت وعبارة ممكنة، لأن في الإيجاز كل البلاغة والجمال الأسلوبي، وفي التلميح إشراك للقارئ في إنتاج النص وتمام بنائه وسد فراغات الفهم فيه.

أما عن القصة القصيرة في الجزائر فقد عرفت تأخرا عاما كان نتيجة منطقية لجملة من العوامل التي سببته ولعل أهمها: "التخلف الثقافي العام أثناء الفترة الاستعمارية وما بعدها، وقد كان ذلك هدفا أساسا للسياسة الاستعمارية، "يقول جون بول سارتر عنها: أردنا أن نجعل من اخواننا المسلمين، شعبا من الأميين. ويبلغ عدد الجزائريين الأميين80٪"[9] إضافة إلى ضعف الترجمة والنقد بسبب القمع الاستعماري الذي طال المجتمع الجزائري في كافة تفاصيل حياته ورموز هويته ولغته، ولهذه الأسباب وغيرها تأخر ظهور القصة في الجزائر لأنها "فن جديد

تقتضي نشأتها – فضلا عن تطورها وازدهارها- محيطا جديدا اجتماعيا وثقافيا فلا غرو أن تنمو نموا بطيئا متأرجحةً بين القصصية والمقال الإصلاحي"

ولم تأخذ القصة القصيرة الجزائرية الاهتمام المطلوب المتمثل في ذلك الحيز الواسع من الذيوع والانتشار والتداول الإعلامي والنقدي الذي استحوذت عليه الرواية والشعر أيضا إلا أنها لازالت تجد لها مكانا متميزا لدى عدد من القصاصين والمهتمين بها قراءة وكتابة ونقدا بعدما تخلصت كلية من المفهوم الوظيفي ذي الطابع الإلزامي الفج للكتابة القصصية ومن المحمول الفني الملتبس بالإيديولوجيا الاشتراكية التي سادت في فضاءنا الثقافي الجزائري ردحا من الزمن.

سنتعرف اليوم على لبنة مهمة في صرح الأدب القصصي الجزائري وتجربة مميزة فيه وعلامة فارقة شكلاً ومحتواً ونقصد بذلك التجربة اللافتة والذكية للقاص الجزائري بومرزوق زين الدين[10]، وحديثنا هنا محصور على مجموعته القصصية "معذرة يا بحر" لمحاولة تقديم قراءة نقدية لواحدة من أبرع نصوصها وهي قصة " رجل لا يعشقه البحر"

تتوزع هذه المجموعة القصصية على إحدى عشر قصة قصيرة عناوينها كالآتي: أحلام في متاهات المدينة، رجل لا يعشقه البحر، سقوط في عيون تشبه البحر، أنفاق في رأس رجل مسافر، امرأة في ملف رجل، فضاء الوجع المركب، حكايا رجل مشاكس، أشياء قابلة للسقوط، سقطات اللقاء المؤجل، كلمات في صدر مطعون، بقايا عمر رجل.

أما حقولها الدلالية البارزة والتيمة المسيطرة على مجمل التجارب القصصية الموجودة في المجموعة فتراوحت: بين المتاهة والدهشة، وعوالم الاغتراب، ومحاولة الأقرب من سحر الطفولة الشقية، بعيداً عن الوجع والخيبة، وزوال عرش الذات، وتحطم قوارير القصيدة، وهجران محراب الشعر، الغرق في متاهات المدينة، والافتتان بلغز البحر،...إلخ

والبحر هو البؤرة المركزية والقيمة المهيمنة في القصة القصيرة "رجل لا يعشقه البحر" فمن تسمياته في النص: أنّه: الامتداد الأزرق[11]، صاحب الجمال المطلق[12] ذو البساطة الممتدّة عبر الأزمنة الغابرة[13].

وهو المقابل للمدينة بتعقيداتها وفسيفسائها المتشابكة، ووجعها وألمها وظلمها الذي يدفع الانسان إلى الانجذاب والاقتراب من البحر أكثر وترقبه ورصد حركاته بل ومغامرة ركوبه هربا منها.

وقد ورد عنوان المجموعة القصصية ضمن متن هذه القصة القصيرة الثانية ضمن المجموعة "رجل لا يعشقه البحر" في قوله:" معذرة يا بحر... ربما لن نفي بوعدنا للقائك".[14]

ولا بأس بالتذكير برؤية النقاد الغرب لعناوين النصوص السردية الحديثة؛ يعرف ليوهوك : العنوان بأنه " مجموعة العلامات اللسانية التي يمكن أن تدرج على رأس النص لتحدده، وتدل على محتواه العام، وتغري الجمهور المقصود بقراءته " [(15)]

فالعنوان بث بذلك واقعة لغوية بالدرجة الأولى تتموقع على تخوم النص وحوافه، وبصورة أدق على رأس النص، فتأطر كيانه اللغوي والدلالي وتعلن سلفا عنه لجمهور المتلقين

والعنوان عند جيرار جنيت مظهر أو مكون أو قسم مركزي من أقسام المتعاليات النصية ولكنه من أهمها إذ يشكل لوحده عنصرا أدبيا مستقلا، له مبادئه التكوينية، ومميزاته التجنيسية التي تستحق التحليل و التفكيك إلى بنياته الصغرى قصد مقاربته وتأويله.

لقد استشعر جنيت أهمية العنوان كما أحس بصعوبة تحديده وضبط ماهيته نظرا لتركيبته المعقدة غير القابلة للتحديد أو الضبط النظري، حيث يقول في كتابه " العتبات " ربما كان التعريف نفسه للعنوان يطرح أكثر من أي عنصر آخر بعض القضايا، ويتطلب مجهودا في التحليل، ذلك أن الجهاز العنواني، كما نعرفه منذ النهضة... هو في الغالب مجموعة شبه مركبة، أكثر من كونها عنصرا حقيقيا، وذات تركيبة لا تمس بالضبط طولها «.[(16)]

إن عنوان هذه القصة القصيرة جدا – مثل عنوان أي عمل سردي- هو البوابة التي يلج عبرها القارئ ليتصل بالنص، فمن شروطه تحقيق الاغواء والفتنة للقارئ ليقبل على النص بشغف وحيرة.

فعند عتبته الأولى إما أن تتكشف أقنعة النص وتتبدى هويته الحقيقية، وإما إن يقع القارئ في فخ الفهم المزيف للنص، فتحدث له الصدمة.

والملاحظ بدايةً أنّ عنوان هذه القصة القصيرة يحمل مفارقة كبيرة إذ يبدو التضاد واضحاً بين عنوان القصة القصيرة هذه ومتنها بل بين عنوانها وعنوان المجموعة القصصية التي تنتمي إليها (الرجل الذي لا يعشقه البحر/ معذرة يا بحر) ولعل ذلك من خصائص ومزات القصة القصيرة المعاصرة التي تبدو جامعة للنقيضين في وقت واحد، موغلة في الذاتية، وموغلة في الموضوعية فالمعنى المباشر المكتوب في تباين واضح مع المعنى غير المباشر المقصود. حيث سعى المبدع إلى وضع عنوان ذا دلالات متنافرة بين عناصره اللغوية والمعنوية، باعتباره (العنوان) سؤالا اشكاليا استهلاليا، سيكون النص بأكمله محاولة للإجابة عنه.

فالمفترض أنه يعلن العنوان عن طبيعة النص ومن ثم يرسم نوع القراءة التي يتطلبها والأبعاد التأويلية المبرزة لجمالياته ولكنّه جاء هنا ليُضاد ويُراوغ ويستفزّ الحس القرائي والجمالي للمتلقي ومنه يمكن القول أنّ هذه المفارقة حققت الغرض وأصابت الهدف بدقة.

والمفارقة في أبسط تعريفاتها وسيلة أدبية وملمح أسلوبي وطريقة من طرائق التعبير يكون المعنى فيها مناقضا، أو مضادا لألفاظ النص.

إنّها انحراف لغوي يؤدي بالبنية إلى أن تكون مراوغة وغير مستقرة ومتعددة الدلالات، وهي بهذا المعنى تمنح القارئ صلاحيات أوسع[17]. بمعنى أنّ لها ارتباطا وثيقا بالتأويل. ويرتكز التأويل في مفهوم المفارقة بين الكلمات والأشياء أو بين اللغة باعتبارها تعبير بالملفوظات الصوتية، وبين الواقع بما يعنيه من وجود محسوس وتجربة معيشة، وعليه فإن محتوى العمل الادبي هو مجرد تصور، ولا يمكن للحقيقة التي يبني العمل الادبي معناها، إلا أن تكون نسبية، لذا فالمعنى من هذه الوجهة مفتوح على التعدد، ربما اللامحدود، أي على اللا معنى[18].

هدفت مفارقة العنوان تلك إلى ايصال المعنى بطريقة ايحائية وفضفاضة تجعل القارئ يرفض العنوان بمعناه المباشر فيغوص إلى عمقه الدلالي لاستخراج معان متعددة دون

ان يمتلك القدرة على ترجيح إحداها على الآخر، مع ما يمكن أن تتصف به من تنافر أو تباين أو غموض، وما تثيره من مشاعر الدهشة عند منشئها و متلقيها على حد سواء.[19]

أما نوعها فهي: مفارقة ظرفية أو مفارقة الموقف والأحداث: وتعني التفاوت بين القصد والنتيجة وتندرج ضمنها المفارقة الكونية (أو سخرية القدر) وهي التباين بين رغبات الانسان والوقائع القاسية من العالم الخارجي[20].

فهذا البحر الذي يُطالعنا العنوان -بل يُضللنا- بأنّه لا يحب مثل هذه النوعية من الرجال يقابلنا المتن القصصي بمعاني تصبُّ في مجملها أن هذا الرجل يحمل كماً هائلاً من مشاعر العشق والإخلاص والاستلاب والافتتان بهذا البحر.

فكانت صفاته (أي البحر) كما يتصورها البطل ويعيشها ويؤمن بها وفق ما جاء في تلافيف النص القصصي فهي كالآتي:

1. أنّه يستر العيوب ويخفي المهانات والزلات يقول:" كل عيوبنا نُحمّلها لهذا البحر" [21] بالتالي يرضي هذا البحر تطلعات الرجل فلا يشعر معه وحوله بالغربة الذاتية أو الاضطراب أو الاحتجاج.

2. له طاقة عظيمة على الصبر والتحمّل، يقول القاص:" يا بحر كم أنت صبور" [22] يظهر هنا ولوع الرجل بالبحر وإعجابه بصبره وجلده.

3. هو قِبلة المدينة وسحرها ومنتهاها، يقول:" وكذا البيوت العتيقة بلونها النّاصع وهي تمتدُّ في حياء من أسفل إلى أعلى وكأنّها تُكبّر أمام البحر"[23]

4. يُحيل إلى المجهول الغامض، يقول:" الذي يبعث بزوارق أبنائها الصيّادين إلى المجهول"[24]

5. يبعث الرزق والخير والفرح في نفوس الرجال والأطفال، في قوله:" ليعودوا مع خيوط الفجر الأولى وقد امتلأت شباكهم بالسمك والخير" [25]

6. يُجسد البحر أيضاً السكون والصمود والثبات أمام التحوّلات المتلاحقة المتسارعة التي تنبض وتعجُّ بها المدينة على أطرافه وجنباته، يقول:" ولكنّك يا بحر ما زلت على عهدك ساكناً رغم ما يحدث من حولك"[26]

7. المهرب والسبيل والمنجى والملجأ والملاذ لأبناء المدينة هروباً من قهر نهار المدينة وبطش نورها وجور ضياءها يقول:" وحتى أنت أيّتها المدينة البيضاء أطفالك تخلّوا عنك وركبوا السُفن خلسة ليفرُّوا في ليلة ظلماء خوفاً من نهارك القاتل"[27]

8. هو الملتقى والموعد كمجاز مرسل علاقته الحاليّة إذ هو في الحقيقة لقاء بروح زوجته التي رقدت بالبحر:" بعد وفاة زوجته في حادث سقوط الطائرة في مياه الخليج العربي"[28] فكان البحر في القصة يرمز إلى :الحبيبة والأم والوطن والسكن الآمن والمرجعية والمآل والهوية الحقيقية ...

9. وهو بناءً على ما تقدّم يمثل الحب والألم والأمل والشوق والحنين والذكريات الحلوة الجميلة، يقول:" ليُردد بصوت هو أقرب إلى الهمس الذي لا يكون إلا بين حبيبين التقيا بعد فراق.. من أجلك أنا هنا، كل شيء فيك يستفزُّني للبقاء إلى قربك وإلى ماض افتقدته ومعه افتقدت فرحي، وبدايات العشق، وجرأة الصبا، كلُّ هذا مدفون في جنباتك" [29]

10. كما أنّه الكفيل بترميم الصدع وجبر الخواطر وبعث الحياة والروح من جديد رغبةً وطموحا بغدٍ أفضل:" فهل تشرق شمسك ثانية فيَّ، حتّى أزرعها عشقاً متجدداً في ابنتي التي أصبحت تحنُّ لضباب المدن البارد أكثر".[30]

11. وأقصى طموح الكاتب أن يتعلم من البحر ويستوعب عنه الدروس التي يلقنها له في كل حين حيث كان البطل كثير التذمر من صفات البشر من حوله التي لا يحكمها إلاّ الخذلان والوعود المُخلَفة والتسويفات يقول البطل مخاطباً كاتبته:" أخبرهم أني غير موجود فكل الأشياء مؤجلة إلى حين. وانصرف مسرعاً نحو البحر يستعجل لقاءه ".[31]

لكن رغم كل ذلك الحب والتقدير الذي يكنّه الرجل للبحر جاء العنوان يحمل المغالطة والنقيض، ولعلها محاولة من لدن الكاتب حتى يجعل النص مولدا لديناميكية الصورة وحركية السرد، يقول عن ذلك عثمان حشلاف: "إنّ أخصّ ما يميز صورة التقابل والتنافر والتّضاد هو الصراع والتجاذب والتّوتر الناتج عن تناطح كتلتين أو نزعتين في الإنسانية"[32].

فالمقابلة التي يخرج بها القارئ من هذا النص السردي القصير هي كالتالي:

عنوان يحيل إلى رجل لا يعشقه البحر.

متن سردي يحيل إلى رجل يعشق البحر.

وهنا يقع القارئ في حيرة من أمره إزاء هذه المشاعر المتناقضة بينهما (الرجل / والبحر) لماذا هذا التقابل في الأحاسيس لماذا هذا الجحود والنكران، فبينما يكنّ الرجل مشاعر العشق والحب الدافئة يقابله البحر بالقسوة والانكسار والهزائم، إنها قضية تعكس باختصار مأساة الرجل وألمه الحاد اتجاه الفضاء الذي يعيش ضمنه؛ فالمكان أو الفضاء الجغرافي للرجل المعاصر يسلب منه الفرح كلما نظر إليه بحب، ويخطف سعادته وبسمته ليحولها لدمعة وقهر، ويسلبه المستقبل الجميل ويمنحه المرار والألم كلما بادره بالتفاؤل واليقظة ويصدمه بالموت والخيبات حينما ينتظر منه الحياة والتجديد.

ومنه بدا التعارض واضحا في هذا النص القصصي الذي تأرجح بين المتناقضات ليصنع مفارقته المستفزّة: بين العنوان والمتن، بين الواقع والمأمول، بين الذات والفضاء، بين الداخل والخارج، بين القول والفعل، بين المشاعر والحقيقة، بين الواقعي والرمزي...

ورغم ذلك كله لم يكن بطل هذه القصة القصيرة جداً ليدخل في علاقة انفصال عن الواقع أو بعد عنه وصراع معه بل هو على اتصال دائم به، فرفض ألاَّ ينتمي لفضائه خاصة عندما يختم الكاتب نصه: "وانصرف مسرعاً نحو البحر يستعجل لقاءه"[33]، وهو ما يجعل هذا النص السردي مفتوح على هواجس عدة وتساؤلات تضطرب في ذهن المتلقي ولا تهدأ فتدهشه وتحفّزه.

لقد جسدت هذه القصة القصيرة جدا هذا اللون الجديد من الكتابات الأدبية شديدة التركيز شديدة المراوغة وصدم القارئ، إنها تصوير مركز للحظة إنسانية منتقاة بدقة منبثقة عن ذات تحاول التعايش مع العالم المحيط بها، فقدّمت نظرة ذاتية ممتعة جذبت القارئ وسلطت الضوء على زاوية وجانب من الحياة بشكل مكثف خلخل قناعات الذات وبدد رتابتها.

خاتمة

نخلص أخيرا لجملة من النتائج نؤكد فيها:

- القصة القصيرة جدا نشاط انساني، يفتك لحظة حياتية ينقلها من العدم إلى الوجود.
- وأن القصة القصيرة جدا تتناول قَطْعا عرضياً من الحياة، وتعالج لحظة منها وحاولت إضاءة جوانبها، ولغوص إلى تفاصيلها وسبر أغوارها تاركة أثراً واحداً وانطباعاً محدداً في نفس القارئ بنوع من التركيز والاقتصاد.
- وأحسبها نجحت في الاستلهام من أجناس أدبية متنوعة؛ فتشرّبت من القصيدة: شعريتها، وموسيقاها، وغنائيتها، وتكثيفها وقوتها، واستلهمت من السرد: نمو أحداثها وصراع شخصياتها، وحواريتها، من المسرح: دراميته وحواره الداخلي والخارجي وصراعه السريع الخاطف.
- وكانت فعلاً شديدة الاختزال والتكثيف انطلق كالرصاصة نحو هدفها مباشرة منذ الكلمة الأولى.
- كانت المفارقة عنصرا فعالا في بناء هذا النص السردي الموجز، لما لها من دور كبير في استثارة حس التأويل والسد فراغات الفهم من لدن المتلقي.
- استطاع زين الدين بومرزوق أن يصور المشاعر المتضارب التي جمعت بطله بالبحر، ونقلها لنا بكل مهارة قصصية كشفرات لا تفك رموزها إلا بالقراءة المتأنية الفاحصة.
- جسدت تلكم القصة القصيرة جدا تضارب ومفارقة بين خطاب المتن الحكائي وخطاب العنوان المباغت.

- والملاحظة التي نختم بها تلكم القراءة المتواضعة أنّه مثلما بات الشعر خاضعاً للنفس الشعري والدفقة الشعورية الوجدانية في تعداد وانتظام تفعيلاته واتزان موسيقاه، بات النص السردي هو الآخر خاضعا للومضة العقلية واللحظة الإدراكية الواعية لا يزيد عليها حرفاً فلا مبرر للإطناب والتفاصيل والجزئيات التي تضرُّ بالعمل الأدبي وتجمد ذهن القارئ وتعطّل حواسّه الذوقية وتمنعه من التدبر الاستقرائي والحراك التأملي.

الهوامش

1 حسن عليان: تداخل الأجناس الأدبية، الرواية والسيرة وسيرة مدينة وشعب، دار مجدلاوي للطباعة والنشر والتوزيع،ط:1، المملكة الأردنية، 2012 -2013م، ص: 16.

2ابن منظور: لسان العرب المحيط، إعداد وتصنيف، يوسف خياط، دار العرب، د.ط، بيروت،1952م،مادة(قص)

3 رشاد رشدي: فن القصّة القصيرة، مكتبة الأنجلو مصرية، ط: 2،مصر، 1964، ص: 1.

4 رشاد رشدي: فن القصّة القصيرة، ص: 9.

5 شريبط أحمد شريبط: تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة 1947- 1985، منشورات اتحاد الكتاب العرب،1964، ص10

6 المديني، أحمد: فن القصة القصيرة بالمغرب الأقصى، في النشأة والتطور والاتجاهات، دار العودة، بيروت، ص: 34

7 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

8 الحسين جاسم: القصة القصيرة جدًا، مقاربة تحليلية، دار التكوين للطباعة والنشر والتوزيع،2010، ص 43.

9 مخلوف عامر: مظاهر التجديد في القصة القصيرة بالجزائر، دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998، ص 38

10 هو: قاصٌّ جزائري ولد عام 1962م ببسكرة، نشر أوّل قصة له منذ عام 1982م بعنوان "الرفض يا أمي" نال عام 1999 جائزة وزارة الثقافة حول الأدب الافريقي على مجموعته القصصية القصيرة "الحجر المقدّس"، كما وصدرت له عدّة مجموعات قصصية قصيرة جدّاً منها: ليلة أرق عزيزة، تشكيل في ذاكرة العين، معذرة يا بحر، قلب. .مختل عقليا، شُبّه لهم، تشكيل في ذاكرة العين. ..انهار جبل الثلج...خمسون درجة تحت الظل... له كتاب نقدي بعنوان "مقاربة نقدية للقصة القصيرة الجزائرية المعاصرة"، وللكاتب كتاب آخر إداري بعنوان "الخدمة العمومية بين تطبيقات النصوص القانونية والواقع، الجماعات المحلية نموذجا" وقد لخص فيه عصارة تجربته الادارية، اذ انخرط في السلك الاداري منذ 1986م.

11 بومرزوق زين الدين: معذرة يا بحر، قصة رجل لا يعشقه البحر، دار الكتاب العربي، ط: 1، 2007م، ص: 23.

12 يقول عنه الكاتب في قصته القصيرة جدا :"كل شيء فيك جميل" ص: 20.

13 ينظر: المجموعة القصصية نفسها، ص: 20.

14 بومرزوق زين الدين، معذرة يا بحر، قصة رجل لا يعشقه البحر، ص: 23

15 محمد الهادي المطوي: شعرية عنوان كتاب الساق على الساق في ما هو الفارياق، مجلة عالم الفكر، المجلد : 28، العدد : 1، سبتمبر، 1999، ص 456.

16(1) – Gérard Genette, Seuil ed. Seuil Coll. Poétique, Paris, 1987; P 54.

17- ناصر شبانة: المفارقة في شعر العربي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات و نشر، ط:1، 2002،ص 46.

18- يمنى العبد: فن الرواية العربية، دار الأدب، د.ط، القاهرة، (د ت)، ص 41.

19- هيثم محمد جديثاوي: المفارقة في شعر أبي العلاء المعري، دراسة تحليلية في البنية والمغزى، دروب ثقافية للنشر والتوزيع، ط: 1، 2012، ص 27.

20- مجموعة باحثين: أوراق فلسفية، تقديم: سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، ط:1،الدار البيضاء، المغرب، 2012، ص 23.

21 بومرزوق زين الدين: معذرة يا بحر، قصة رجل لا يعشقه البحر، ص: 25.

22 المصدر نفسه ص: 25.

23 المصدر نفسه ص: 23.

24 المصدر نفسه، ص: 23.

25 بومرزوق زين الدين، معذرة يا بحر، قصة رجل لا يعشقه البحر، ص: 23.

26 المصدر نفسه ص: 23.

27 المصدر نفسه ص: 23.

28 المصدر نفسه ص: 19.

29 المصدر نفسه ص: 20.

30 المصدر نفسه ص: 20.

31 المصدر نفسه، ص: 26.

32 عثمان حشلاف: التراث والتجديد في شعر السياب. دراسة تحليلية جمالية في مواده صوره موسيقاه ولغته. الجزائر. ديوان المطبوعات الجامعية، 1986،ص: 121.

33 زين الدين بو مرزوق، معذرة يا بحر، قصة رجل لا يعشقه البحر، ص: 26.

المصادر والمراجع:

1. ابن منظور، لسان العرب المحيط، إعداد وتصنيف، يوسف خياط، دار العرب، بيروت،1952.
2. بومرزوق زين الدين: معذرة يا بحر، قصة رجل لا يعشقه البحر، دار الكتاب العربي، ط: 1، 2007م.
3. حسن عليان، تداخل الأجناس الأدبية، الرواية والسيرة وسيرة مدينة وشعب، دار مجدلاوي للطباعة والنشر والتوزيع، ط: 1، المملكة الأردنية، 2012 -2013م.
4. رشاد رشدي، فن القصّة القصيرة، مكتبة الأنجلو مصرية، ط: 2، 1964م.
5. شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة 1947- 1985، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998.
6. محمد الهادي المطوي، شعرية عنوان كتاب الساق على الساق في ما هو الفارياق، مجلة عالم الفكر، المجلد : 28، العدد : 1، سبتمبر 1999.

7. مخلوف عامر، مظاهر التجديد في القصة القصيرة بالجزائر، دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998.
8. المديني أحمد، فن القصة القصيرة بالمغرب الأقصى، في النشأة والتطور والاتجاهات، دار العودة، بيروت، د ت.
9. مجموعة باحثين، أوراق فلسفية، تقديم: سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،ط:1، 2012.
10. ناصر شبانة، المفارقة في الشعر العربي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط:1، 2002.
11. هيثم محمد جديثاوي، المفارقة في شعر أبي العلاء المعري، دراسة تحليلية في البنية والمغزى، دروب ثقافية للنشر والتوزيع، ط: 1، 2012.
12. يمنى العبد، فن الرواية العربية، د ط، دار الأدب، القاهرة، د ت.
13. Gérard Genette : Seuil ed. Seuil Coll. Poétique, Paris 1987